دور الأدب الليبي الروائي في حفظ التراث غير المادي في المناطق الصحراوية (روايات إبراهيم الكوني أنموذجا)

أ.د. يوسف إبراهيم محمد قطريب كلية الآداب / توكرة/ جامعة بنغازي

أ. صلاح جاد الله حامد القديري كلية الآداب / توكرة/ جامعة بنغازي

الملخص:

تعدّ روايات إبراهيم الكوني أنموذجا لهذا الدور، حيث يتناول في رواياته الأحداث والتاريخ الليبي بشكل مميز، ومن خلاله يحافظ على التراث الليبي الغني في الصحراء، ومن تم يُسهم الأدب الليبي الروائي في الحفاظ على التراث الليبي الغني والمتنوع في المناطق الصحراوية عبر طرق عدة أهمها:

1. **نقل التراث بين الأجيال:** فروايات الكوني تسهم في نقل التراث الليبي من جيل لآخر، من خلال سردها للقصص والحكايات الشعبية، واستعراض العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والفنون الشعبية.

2. **توثيق التراث:** إذ تُسهم روايات الكوني في توثيق التراث الليبي عبر تقديم وصف دقيق للمناطق الصحراوية، وصورة واضحة للحياة الاجتماعية والثقافية لسكانها.

3. **نشر التراث:** حيث تُسهم روايات الكوني في نشر التراث الليبي عبر ترجمتها للغات أخرى ونشرها في وسائل الإعلام المتنوعة. فالبحث يستنتج بأن روايات إبراهيم الكوني تعد أداة رئيسة للحفاظ على التراث غير المادي في المناطق الصحراوية الليبية، وهذا الأسلوب الأدبي من أهم الوسائل التي تُسهم في إحياء التراث الثقافي والأدبي لهذه المناطق وتوثيقه ونشره.

الكلمات المفتاحية: الأدب الليبي، الرواية، التراث غير المادي، إبراهيم الكوني، المناطق الصحراوية.

Abstract:

Ibrahim Al-Koni's novels serve as a paradigm for this role, as he uniquely addresses Libyan events and history in his works. Through his narratives, he preserves the rich Libyan heritage in the desert, highlighting the significant contribution of Libyan literary fiction in safeguarding the diverse and rich heritage of the desert regions through various means, including:

1. Heritage Transmission between Generations: Al-Koni's novels contribute to the transmission of Libyan heritage from one generation to another by narrating folk stories, recounting customs, traditions, religious beliefs, and folk arts.

2. Heritage Documentation: Al-Koni's novels play a role in documenting Libyan heritage by providing precise descriptions of the desert regions and offering a clear depiction of the social and cultural life of its inhabitants.

3. Heritage Dissemination: Al-Koni's novels contribute to disseminating Libyan heritage by translating them into other languages and publishing them through various media outlets.

In conclusion, the research concludes that Ibrahim Al-Koni's novels serve as a crucial tool in preserving non-material heritage in Libyan desert regions. This literary approach stands out as one of the most significant methods for reviving, documenting, and disseminating cultural and literary heritage in these areas.

Keywords: Libyan literature, novel, intangible heritage, Ibrahim Al-Koni, desert regions.

المقدمة:

التراث الثقافي غير المادي، كما هو الحال مع الثقافة بشكل عام، يتميز بتطوره وتغيره المستمر، ويزداد غنى مع كل جيل جديد، والعديد من أشكال التعبير، ومظاهر التراث الثقافي غير المادي تواجه الآن تهديدات وأخطار نتيجة للعولمة، والتنميط، ونقص

الدعم، والتقدير والفهم، إذا لم يتم توفير الرعاية المناسبة للتراث الثقافي غير المادي، فقد يتعرض لخطر الضياع إلى الأبد أو يصبح جـزءًا مـن أطلال الماضي، مـن دون شك، والحفاظ على هذا التراث ونقله إلى الأجيال القادمة يعزز قوته ويحافظ على حيويته، مع السماح له في الوقت نفسه بالتغير والتكيف.

ومن أجل الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي، نحتاج إلى اتخاذ مجموعة من التدابير تختلف عن تلك التي استخدمت لحفظ المعالم التاريخية والمواقع والأماكن الطبيعية. ومن أجل الحفاظ على حيوية التراث غير المادي، يجب أن يظل جزءًا لا يتجزأ من ثقافة مجتمع معين، وأن يتم ممارسته وتعليمه بانتظام في المجتمعات المحلية وبين الأجيال. والمجتمعات والجماعات التي تمارس هذه التقاليد والعادات في جميع أنحاء العالم لديها أنظمتها الخاصة لنقل معرفتها ومهاراتها، وعادة ما تعتمد على النقل الشفهي بدلاً من النصوص المكتوبة. ومن تم لا يمكن الحفاظ على أنشطة التراث غير المادي بشكل مستقل عن المجتمعات المحلية والجماعات والأفراد الذين يحملون هذا التراث.

تعدّ روايات إبراهيم الكوني أنموذجًا لهذا الدور، حيث تدور أحداث معظم رواياته في الصحراء، ويتناول في رواياته الأحداث والتاريخ الليبي بطريقة مميزة، ومن خلاله يحافظ على التراث الليبي الغني في الصحراء، ولذلك يُسهم الأدب الليبي الروائي في الحفاظ على التراث الليبي الغني والمتنوع في المناطق الصحراوية عبر طرق عدة أهمها:

1. نقل التراث بين الأجيال: فروايات الكوني تسهم في نقل التراث الليبي من جيل لآخر، من خلال سردها للقصص والحكايات الشعبية، واستعراض العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والفنون الشعبية.

2. توثيق التراث: إذ تُسهم روايات الكوني في توثيق التراث الليبي عبر تقديم وصف دقيق للمناطق الصحراوية، وصورة واضحة للحياة الاجتماعية والثقافية لسكانها.

3. نشر التراث: حيث تُسهم روايات الكوني في نشر التراث الليبي عبر ترجمتها للغات أخرى، ونشرها في وسائل الإعلام المتنوعة.

وسوف نحاول من خلال هذا البحث تتبع دور الأدب كأداة رئيسة للحفاظ على التراث غير المادي في المناطق الصحراوية الليبية، وهذا الأسلوب الأدبي من أهم الوسائل التي تُسهم في إحياء وتوثيق ونشر التراث الثقافي والأدبي في تلك المناطق وتوثيقه ونشره.

المبحث الأول: التراث غير المادي:

يعدّ مفهوم "التراث الثقافي "غير المادي " من الجوانب الرئيسية التي تعكس ثراء وتنوع الثقافات حول العالم، يُقصد بهذا المصطلح: الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات، وقطع، ومصنوعات، وأماكن ثقافية والتي تعدّها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي.

وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية[1]، ويتجلى (التراث الثقافي غير المادي) بصفة خاصة في مجالات التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة

(1) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والمعرفة، اتفاقية عام 2003 صون التراث الثقافي غير المادي، ط2018، ص5

للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي، من فنون وتقاليد أداء العروض والممارسات الاجتماعـية والطقـوس والاحتفـالات، والمعـارف والممـارسات المتعلقـة بالطبـيعة والكون، والمهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

ويمكن أن يكون التراث الثقافي غير المادي تقليدًا شفهيًا، مثل: الحكايات والأساطير والأغاني، أو تقليدًا ماديًا، مثل: فنون الأداء، أو تقليدًا اجتماعيًا، مثل الطقوس الدينية، أو تقليدًا بيئيًا، مثل المعرفة التقليدية بكيفية التعامل مع الموارد الطبيعية، شكلت طبيعة العلاقة بين الرواية العربية والرواية الغربية أحد أهم الأسباب التي دفعت الروائيين في العقـود الثلاثـة الأخيرة إلى توظيف التـراث كما مر معنا، وترافق تراجـع الرواية الغربية، بوصفها المثال الأعلى بالنسبة إلى الرواية العربية، وظهور روايات أخرى تنتمي إلى أمريكا اللاتينية، واليابان، وأفريقيا... وتميزت هذه الروايات بشكل فني مغاير للشكل الفني في الرواية الغربية. وساهمت، ولاسيما روايات أمريكا اللاتينية التي عرفت بميل كتابها إلى الغوص في البيئة المحلية، ورصد عادات الشعب وتقاليده وتراثه، وتوظيف التراث الإنساني، ولاسيما حكايات ألف ليلة وليلة التي أثرت كثيرا في الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، في دفع الرواية العربية للعودة إلى قراءة التراث، والتأسيس عليه، والغوص في البيئة المحلية [2]، من منطلق أن التراث الثقافي غير المادي يلعب دورًا مهمًا في حياة المجتمعات، فهو يوفر لها الهوية والشعور بالانتماء، ويساعدها على الحفاظ على ثقافتها وتراثها. كما أنه يساهم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، من خلال تعزيز السياحة، وخلق فرص العمل، حيث تسعى اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لليونسكو، التي

(2) محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص11.

تم اعتمادها في عام 2003، إلى حماية التراث الثقافي غير المادي من الاندثار، وتعزيز الوعي به وتقديره. وفيما يأتي بعض الأمثلة على التراث الثقافي غير المادي:

- **فنون الأداء:** مثل: فنون الموسيقى، والرقص، والمسرح.
- **التقاليد الشفهية:** مثل: الحكايات، والأساطير، والأغاني.
- **الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات:** مثل: الأعياد الدينية، والمهرجانات الشعبية.
- **المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون:** مثل المعرفة التقليدية بكيفية التعامل مع الموارد الطبيعية.

المبحث الثاني – التراث غير المادي في روايات الكوني:

تعدّ انطلاقة إبراهيم الكوني في كتاباته من التراث الصحراوي أمرًا طبيعيًا، نظرًا لانتمائه العميق إلى بيئة صحراوية من جهة، ولتفرغ قلمه لإبراز هذا الموروث الثقافي الأصيل والغني من جهة أخرى. يظهر الكوني بوضوح كرائد يسخر قوة كتابته لتسليط الضوء على جماليات هذا التراث والعمق الثقافي الذي يحتضنه، فيقوم برسم مكانته بين الثقافات العالمية الأخرى، مما يسهم إيجابيًا في الثراء الثقافي للأدب العربي بشكل عام، والأدب الليبي بشكل خاص، ونتيجة لهذا التفرغ، يتجلى تأثيره الإيجابي في تغيير الفكر الاجتماعي والثقافي، حيث يصبح من الضروري إعادة تقييم وتوظيف التراث بطرق متجددة ومبتكرة.

وميدان التعبير عن التراث الصحراوي يظهر أكثر فسحًا واستعدادًا في فن الأدب، وتحديدًا في جنس الرواية، حيث يشكل هذا الجنس الأدبي وسيلة فعّالة لاستيعاب واستدعاء جوانب متنوعة من التراث، وإن الرواية تتجاوز الحدود وتتحول إلى وعاء يجمع بين مختلف العلوم والثقافات، وتعدّ جزءًا لا يتجزأ من التراث البشري. ويمكننا توضيح هذا

الفهم من خلال فحص تأثير التراث الصحراوي في روايات إبراهيم الكوني، حيث نلمس هذا التأثير من زوايا متعددة، مبرزين بذلك الأبعاد المتنوعة لتلك الوراثة الثقافية.

أولا– العادات والتقاليد الصحراوية:

(نصبت الخيمة وارتفعت الزغاريد وقرعت الطبول وزنّت أوتار "امزاد" في الخلاء. وصل الغائب فاستقبلوه بطلقات الرصاص والرقص وعواصف الزغاريد)[3] من هذا النص الروائي، يظهر أن هناك تراثًا غير مادي قوي ينبثق من المشهد المقدم، وإن نصب الخيمة وارتفاع الزغاريد وقرع الطبول وصوت أوتار "امزاد" يشير إلى تجربة اجتماعية وثقافية غنية، ويمثل هذا الحدث الاجتماعي تراثًا غير مادي يتعلق بالتقاليد والأعراف والاحتفالات والفنون الشعبية، والاستقبال الحار للغائب بواسطة طلقات الرصاص، والرقص، وعواصف الزغاريد يعكس تقاليد الاحتفال والترحيب، ويسلط الضوء على الأبعاد الروحية والاجتماعية للمجتمع. وقد تكون الزغاريد، والطبول، وصوت أوتار "امزاد" أدواة فنية للتعبير عن المشاعر والفرح، وتعبيراً عن الهوية والتراث الثقافي، وإن هذه التجارب غير المادية تلعب دورًا مهمًا في تشكيل الذاكرة الثقافية، وتمتد لتكون جزءًا لا يتجزأ من التراث الشعبي.

"ما زال الفتيان والفتيات ساهرين في خيمة العرس المشؤوم. رائحة «الفيسوخ» والبخور ومستحضرات أخرى غريبة تعبق في الخباء.. رائحة خاصة.. رائحة السحرة والمجهول"[4] فقد وصف العرس بالشؤم (في خيمة العرس المشؤوم) وأتى على فعل الاستمرار بالسهر (مازال الفتيان والفتيات ساهرين) وذلك خلقًا لجو من التشويق والغموض، كما أنه جاء بروائح "الفيسوخ" و(البخور ومستحضرات غريبة تعبق في الخباء)

(3) إبراهيم الكوني، القفص، ص81.

(4)المصدر نفسه ، ص85.

لتكون رموزًا لعادات وتقاليد ثقافية. والرائحة الخاصة تنقلنا إلى عالم السحرة والمجهول، حيث تظهر المعتقدات والتقاليد غير المادية.والعادات والتقاليد تبرز من خلال سهر الفتيان والفتيات، واجتماعهم للاحتفال بلحظة خاصة في حياتهم، فالاستخدام المتقن للكلمات العامية مثل "الفيسوخ" و"الخباء" يمنح النص لمسة لغوية فريدة، مما يسهم في الحفاظ على التراث اللغوي.

وتتكامل المعتقدات والروائح السحرية لتشكل جزءًا من التراث غير المادي، حيث يُظهر النص كيف تتجسد هذه الممارسات في الفعل الاحتفالي كما يتيح النص للقارئ استكشاف وفهم أعماق التراث الثقافي والروحي، وكيف يعمل على تحديث هذا التراث من خلال التجارب الحية والمشاهد المحددة." تناطحت الرؤوس وتهامست الأفواه واستنكرت الألسن هذه الوقاحة. «لا بد أن تمكث العروس عاما في بيت أهلها ككل النساء..» هكذا كانت الإجابة فركب آجار رأسه وهدد بالطلاق. (5)

فالنص يعبر عن عدة جوانب من التراث غير المادي التي تتجلى في الحياة اليومية والأحداث السعيدة كالزواج؛ إذ يشير إلى عادة بقاء العروس في بيت أهلها لمدة عام بعد الزواج، وهي عادة ترتبط بالتقاليد والثقافة، حيث يُرى أن هذه الفترة ضرورية لتكييف العروس مع حياتها الجديدة.يُظهر النص استخدام بعض الكلمات العامية التي تشكل جزءًا من لغة المجتمع، وتعكس تراثه اللغوي وتاريخه. يُبرز اللغة العامية كوسيلة للتعبير عن المشاعر والتفاعلات في سياق الزواج. كما يتناول النص العناصر الدينية والسحرية بشكل طرحه العام، مما يشير إلى عدم تأثيرها الكبير على الأحداث.

(5) إبراهيم الكوني، الخسوف ج4، ص143.

ومن خلال التحليل يظهر التأثير العميق للتراث غير المادي على الحياة اليومية، وكيف يمكن أن تكون العادات واللغة جزءًا لا يتجزأ من هوية المجتمع. كما يمكن أيضًا فهم النص من منظور آخر يتناول صراعًا بين التقاليد والتحديث، ودور المرأة في المجتمع الذي يتأثر بالتقاليد والعادات.

يختارون من الكنوز أجناساً ليطبخوها في القدور. يلقون في القدور حبيبات خفية وجذور يبس قديم يحسبه البلهاء حصباء أو خرزاً أو قطع طين. يتلون في سحب الأبخرة بوصايا ورثوها عن أسلافهم الأولين دون أن تتوقف أيديهم عن العبث بالكتلة الكية التي تترجرج في الأوعية وتوشوش في القدور. ويختارون أجناساً أخرى للإعداد بطريقة أخرى. يتركونها في العراء لتجفَ، ثم يسحقونها بين ألواح الحجارة كما يسحق الحب بن ضلفتي الرحى. يمزجون مساحيق الأجناس بقدر واحتراس ولهفة ويعبرون عنها بتمتمات التمائم. (6)

فالنص يسلط الضوء على عدة جوانب تتعلق بالتراث الثقافي التقليدي، حيث يتناول العادات والتقاليد المتعلقة بتحضير الأدوية من الأعشاب والنباتات، ويظهر أن هذه العادة تمثل جزءًا من تراث بعض الثقافات، حيث يُعدّ أن الأعشاب والنباتات تحمل خصائص علاجية.أيضًا يُشير النص إلى وجود معتقدات سحرية أو دينية من خلال استخدام التمائم والوصايا التي تم نقلها عبر الأجيال، وهذا يعكس تأثير التراث الديني أو السحري على الحياة اليومية للأفراد في المجتمع.وفي الجانب اللغوي: يُستخدم النص بعض الكلمات العامية، مما يعكس التراث اللغوي، ويظهر كيف يتم حمايتها ونقلها من جيل إلى آخر.

(6) الكوني، الشرخ، 1/ 42.

وفي الجانب الثقافي والاجتماعي: يُظهر النص كيف يمكن للتراث غير المادي أن يكون جزءًا لا يتجزأ من حياة المجتمع، مؤثرًا حتى في الأمور اليومية مثل العناية بالصحة واستخدام العلاجات الطبيعية.في المجمل يُظهر التحليل كيف يمكن للتراث الثقافي أن يلعب دورًا هامًا في توجيه سلوكيات ومعتقدات الأفراد والمجتمع بشكل عام.

(دفنوا أنفسهم وذويهم في بيوتهم حتى الموت. فانقطع بذلك أصل الحكماء في القبيلة. اندثر الشبرخ، وجاء اليوم الذي تحققت فيه نبوءة آنهي المفقود: "آسخركن امغارن نسن، ادخركن ايبراضن نسن"، ووجدت القبيلة نفسها وجها لوجه أمام مكيدة جديدة من مكائد الزمان: التيه.(7)

فالنص لا يتناول عادات أو تقاليد محددة بذاتها، إنما يسلط الضوء على المعتقدات الغيبية في المجتمع من خلال إشارته إلى نبوءة آنهي المفقود، وهذا يعكس وجود تراث غير مادي يتمثل في المعتقدات التي تؤثر على الحياة اليومية.

وفيما يتعلق بالفنون والحرف اليدوية: لا يتطرق النص إلى أي تفاصيل حولها، لكنه يظهر استخدام بعض الكلمات العامية في اللغة، مثل "آسخركن" و"ادخركن" و"امغارن" و"ايبراضن" و"تيه"، مما يعكس الجانب اللغوي من التراث الثقافي للمجتمع.

بالنسبة للأمثال والحكم: لا يشير النص إلى وجود أمثال شعبية أو حكم تقليدية، ومع ذلك يظهر التحليل أن التراث غير المادي يتجلى من خلال اللغة العامية والمعتقدات الغيبية.

ويُسلط التحليل الضوء على كيف يمكن للتراث غير المادي أن يؤثر في الحياة اليومية، ويظهر في الظروف المأساوية، مثل وفاة الحكماء وانقطاع سلسلة

(7) إبراهيم الكوني، السحرة 1/ 104.

الحكمة في القبيلة، ويُبرز النص أهمية المعتقدات واللغة في نقل التراث؛ وكيف يمكن أن يكون جزءًا لا يتجزأ من ثقافة المجتمع.وتأثير موت الحكماء على القبيلة يُظهر كيف أدى ذلك إلى انقطاع الحكمة وضياعها، مما يبرز أهمية الحكماء في الحفاظ على التراث وتوجيه المجتمع، كما يتناول التحليل دور النبوءات في التأثير على سلوك الناس وتوجهاتهم، مما يعزز فهمنا لتأثير التراث غير المادي في تشكيل المجتمع وثقافته.

(جاءوا من كل الوديان. يرتدون العمائم الزرقاء، يلفون مناكبهم بقطع القماش الازرق أيضا. يحيطون بطونهم الضامرة بأحزمة الجلود الموسومة برموز السحرة. تتدلى من رقابهم قلائد التمائم، وتومض من أكمام ثيابهم الفضفاضة مقابض سيوف دست انصالها في أغماد من جلود الجمال)[8]

فالنص هنا يصف عادات وتقاليد مجموعة من الناس، حيث يرتدون عمائم زرقاء، ويلفون مناكبهم بقطع القماش الزرقاء، ويحيطون بطونهم بأحزمة جلود تحمل رموز السحرة، ويعلقون قلائد تمائم على رقابهم، كما يتناول النص أيضًا معتقدات هذه المجموعة، حيث يستخدمون رموز السحرة على أحزمة الجلود ويعلقون قلائد تمائم.

في مجال الفنون والحرف اليدوية: يتمثل التراث في صناعة العمائم وأحزمة الجلود وقلائد التمائم، بالإضافة إلى صناعة السيوف بأغماد من جلود الجمال، ويظهر النص استخدام اللغة بشكل متنوع، حيث يُستخدم العربية الفصحى في بعض المصطلحات، بينما تظهر بعض العبارات باللهجة العامية.

ومن خلال التحليل، يظهر لنا أن هؤلاء الناس يحملون تراثًا غير مادي، يتجلى في عاداتهم ومعتقداتهم وفنونهم التقليدية، ويعكس النص تميز هذه المجموعة الثقافية، وكيف

(8) إبراهيم الكوني، السحرة 1/181-182.

يمكن للتراث غير مادي أن يظهر في حياتهم اليومية، حتى في ظروف غامضة كهذه التي تشير إلى ظهورهم بزي غريب.

(يأتون بأعواد القرعة في صمت مقدس. ينزل الصمت الجليل على العراء كله. على تارات كلها. على أزجر كله. يترقب الرجال من بعيد. تتلهف النساء في مداخل أخبيتهن. يبتلع حتى الأطفال ألسنتهم ويخرسون. يتوقف الودان المقدس في المراتع عن الرعي). [9]

يُظهر لنا هذا النص لحظة فريدة تبرز كيف يحتفظ أهل المناطق الصحراوية بتراثهم غير المادي في حياتهم اليومية، ويُقدم المشهد لمحة عن الطقوس والاحتفالات التي تعكس قيمًا ثقافية وتقاليد جذورها في المجتمع.

فالصمت المقدس يلف اللحظة، مما يعكس احترامًا وتقديرًا كبيرًا للطقوس نلحظ ذلك من قوله: ينزل الصمت الجليل على العراء كله، على وتارات وأزجر) مشيرًا إلى أهمية هذه اللحظة في جميع أنحاء تلك المناطق، ويترقب الرجال، وتتلهف النساء في مداخل أخبيتهن، وحتى الأطفال يُخرسون ألسنتهم، مما يبرز المشاركة الواسعة والتفاعل المجتمعي.

أما قوله: توقف الودان المقدس في المراتع عن الرعي فيسلط الضوء على أهمية هذه اللحظة، حيث يتوقف كل شيء في تلك اللحظة الفريدة. ويعكس النص التركيز الكبير والتفاني في الاحتفال بتلك اللحظة الرمزية.

وفي المجمل يُظهر النص كيف يُجسّد التراث غير المادي نفسه في هذه اللحظات البارزة والطقوس اليومية في حياة أهل المناطق الصحراوية، مما يُظهرلنا كيفية الحفاظ على القيم والتقاليد من خلال هذه الطقوس المميزة.

(9) المصدر نفسه 182/1.

(في أعوام الجذب يزدحم السهل بالقطعان حتى يفيض بالإبل والمواشي والقوافل التجارية العابرة. ويرجع اختراع القرعة إلى تلك السنوات القاسية. وهي تقليد حكيم سنته تجارب طويلة من الفوضى شهدها البئر عراكاً على الماء قبل أن يهتدي العقلاء في الصحراء إلى المبدأ النبيل). (10)

فالنص يلعب دورًا حيويًا في الحفاظ على التراث غير المادي من خلال عدة جوانب كالآتي:

أولًها: يُظهر كيف يُعَد النص توثيقًا مهمًا لتقليد قديم يتعلق بحل النزاعات على الماء في الصحراء، مما يُسهم في الحفاظ على هذا التقليد وتاريخه.

ثانيًها: يُسهم النص في نقل المعرفة بشكل فعّال من جيل إلى آخر، حيث يُمكن الأجيال الجديدة من فهم أهمية تقليد "القرعة " في تحقيق التوازن والسلام في المجتمع.

ثالثها: يعزز النص الشعور بالهوية لدى الأفراد، حيث يربطهم بتراثهم الثقافي، ويعزز فخرهم به من خلال تحفيز الاهتمام بالتحقيق والتوثيق حول هذا التقليد ز

رابعها: كما يُشجع النص على دراسات مستقبلية تسهم في توسيع المعرفة حول تأثير "القرعة " على المجتمع.

أخرهًا: يوفر النص وعيًا حول أهمية التراث غير المادي، حيث يظهر كيف يمكن لهذا التراث أن يكون مصدرًا للحكمة والحلول للتحديات اليومية. وبالمجمل يلقي النص الضوء على الأبعاد المتعددة لدوره في الحفاظ على التراث الثقافي، ويعزز أهمية الاحتفاظ به للأجيال القادمة.

(أعواد الحطب هي الحكم. سنلجأ إلى القرعة التفت يا شيخ غوما.) تناول ثلاثة أعواد من الحطب المكوم بجوار الخيمة في حين أشاح غوما بوجهه نحو الناحية

(10) إبراهيم الكوني، المجوس 1/ 238.

الأخرى. تهامس أخواد مع آهر، بعد لحظات قال أخواد: تستطيع الآن أن تلتفت. أيهما تختار؟ تناول غوما عودا قصيرا، أقصر عود، وقال وهو يرفعه أمام وجهه هذا!) [11]

فالنص يلعب دورًا أساسيًا في الحفاظ على التراث غير المادي من خلال عدة جوانب كانت على النحو الآتي:

أولاً: يقوم بتوثيق تقليد قديم ومهم وهو "القرعة "، حيث يقدم صورة واضحة لكيفية استخدام أعواد الحطب لحل النزاعات واتخاذ القرارات في المجتمع، ويُظهر النص بوضوح تفاصيل هذا التقليد، مما يساهم في الحفاظ على تراث يمتلك قيمة تاريخية واجتماعية.

ثانيًا: يساعد النص في نقل المعرفة والتفاصيل حول "القرعة " عبر الأجيال ويمكن للأجيال الجديدة، من خلال قراءة النص، أن تستفيد من تفاصيل هذا التقليد وتكتسب فهمًا أعمق لأهميته في تعزيز السلام والعدالة في المجتمع، وهكذا يعمل النص كوسيلة لنقل الحكمة والتقاليد من جيل لآخر.

ثالثًا: يُعزز النص الشعور بالهوية لدى الأفراد، إذ يجسد تقليد "القرعة " كجزء أصيل من تراث المجتمع، ومن خلال تسليط الضوء على هذا التقليد، نرى كيف يشجع النص على تعزيز الانتماء والفخر بالتراث الثقافي.

رابعًا: يشجع النص على التفاعل والاهتمام المستمر بالتراث غير المادي. ويُحفِّز على إجراء بحوث، وتوثيق حول تقليد "القرعة "، مما يعزز التفاعل المستدام مع هذا الجزء الهام من التراث.

(11) إبراهيم الكوني، رباعية الخسوف 1/ 108.

خامسا: يُظهر النص كيف يمكن للتراث غير المادي أن يكون حيًّا وحاضرًا من خلال النصوص الأدبية، كما يتيح للقراء فهمًا أعمق للعادات والتقاليد، وكيفية دمجها في الحياة اليومية، مما يسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية.

(يقفز إلى الخلاء، ويحجل مقلدا رقص المجذوبين حتى إذا تعب، انهار على الرملة، واستلقى على ظهره، ورفع صوته بأحد تلك الألحان السحرية التي يتحصن بها الفرسان المسافرون في الفلاة كتعويذة ضد الوحشة حتى يختم مواله الحزين بالأبيات المعروفة آسد ينكرد أمود نكفي تيزدا جإذ شاغت تاجنين يتجير نيمزاد [12]

النص يعكس الدور الحيوي الذي يلعبه الأدب في الحفاظ على التراث غير المادي، حيث يقوم بتوثيق وصف مفصل لممارسات ثقافية تندرج ضمن تراث المجتمع، ويتعرض النص لجوانب عدة تؤكد على أهميته في نقل المعرفة عبر الأجيال وتعزيز الهوية الثقافية.

وأحد أهم عناصر النص هو توثيقه للممارسات الثقافية المتنوعة، مثل رقص المجذوبين، وألحان الفرسان المسافرين في الفلاة، ويتناول أيضًا أبيات شعرية تعزف دورًا في ترسيخ هذا التراث، وهذا التوثيق يسهم في الحفاظ على جوانب محددة من التراث التي قد تتلاشى مع مرور الوقت.

من جهة أخرى يؤدي النص دورًا فعّالًا في نقل هذه المعرفة والممارسات عبر الأجيال ويتيح للقراء، خاصة الأجيال الجديدة، الوصول إلى هذا التراث، وفهم دوره في بناء الهوية الثقافية مما يعكس الأهمية الكبيرة للنص كوسيلة لتوثيق التراث، وتحفيز التواصل بين الأجيال.

(12) إبراهيم الكوني، التبر، ص7.

بالإضافة إلى ذلك يعزز النص الشعور بالانتماء إلى المجتمع من خلال تسليط الضوء على كيفية تضافر هذه الممارسات لتشكل جزءًا لا يتجزأ من حياة الأفراد، كما أنه يشجع النص على الفخر بالتراث وتعزيز الانتماء إليه.

وفي سياق التحفيز للبحث والتوثيق، يمكن استخدام النص كمصدر إلهام للدارسين والباحثين لاستكشاف عمق هذا التراث وتوثيقه بشكل أكبر. وهذا يعزز الاهتمام المستمر بالتراث وتحفيز الأبحاث التي تسهم في إثراء المعرفة حول هذه الممارسات الثقافية.

ختامًا: يعد النص مصدرًا غنيًا يبرز أهمية الحفاظ على التراث غير المادي من خلال توثيق الممارسات الثقافية، ونقل المعرفة، وتعزيز الهوية، وتحفيز البحث، وتوعية الأفراد بأهمية التراث.

(تفقدت الكهف فوجدت جدرانه موسومة بهياكل سخية. مخلوقات غريبة التكوين، حيوانات خرافية، نساء بأجساد أسطورية أيضا. رجال يركضون خلف الودان، وآخرون مسلحون بالحراب يؤدون رقصات جماعية، ومخلوقات أخرى ملفقة من أجساد الرجال ورؤوس الحيوانات المتوجة بالقرون، أو رؤوس الطيور. وقفت طويلا أتفحص هذه التراكيب المنكرة.[13]

فالنص يلعب دورًا أساسيًا في الحفاظ على التراث غير المادي من خلال توثيق الرموز والأشكال الثقافية الموجودة في الكهف وتوصيفها يتناول النص عدة عناصر تظهر كيف يتم تمييز الثقافة والقيم في هذا السياق.

كما أنه يتناول الرموز الثقافية الموجودة، مثل الهياكل السخية والحيوانات الخرافية، ويسلط الضوء على التفاصيل المتعلقة بالنساء ذوات الأجساد الأسطورية

(13) إبراهيم الكوني، أنوبيس، ص75–76 .

والرجال الذين يركضون خلف الودان، وتلك الرموز تعكس القيم والأفكار والأساطير التي تشكل أساس الثقافة وتحكي قصصاً عن تراث المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك يتناول النص الرقصات الجماعية التي يؤديها الرجال، مما يبرز أهمية الرقص والأداء في إطار الثقافة. هذا يعكس عمق الترابط الاجتماعي والتفاعل في المجتمع من خلال الفعاليات الجماعية.

وفي سياق مختلف يشير النص إلى المخلوقات الملفقة التي تتمثل في أجساد الرجال ورؤوس الحيوانات، مع توجيه الانتباه إلى القرون أو رؤوس الطيور. يظهر ذلك كيف يعكس التراث الثقافي الإبداع والخيال في صياغة قصص وأساطير.

بشكل عام يعكس النص بشكل متماسك كيفية استمرارية الأفراد في الحفاظ على التراث غير المادي. من خلال توثيق وتوصيف هذه الرموز والأشكال الثقافية، يظهر النص كيف يتم تعزيز الهوية الثقافية وتعزيز التماسك الاجتماعي في إطار غني بالتراث.أما قوله: (تضاحكن مرة أخرى. تمايلن بقاماتهن الفارهة إلى الوراء، ثم إلى الأمام كأنهن يرقصن في حفل اكتمال القمر بدرا، فازددن في عينيه فتنة حتى إنه وسوس لنفسه بوصية تقول: "لو لم تدب في الصحراء الحسناء لآثر أن يدس رأسه في الماء فلا يخرج منه إلى الأبد " ولكن إحداهن تساءلت فسمع صوتا كالغناء. [14]

يسلط الضوء على الدور الحيوي الذي يلعبه الأدب الروائي في الحفاظ على التراث غير المادي، حيث يعالج عدة جوانب مهمة، إذ يبدأ بتوثيق ممارسات ثقافية متنوعة، مثل رقص النساء في حفل اكتمال القمر بدرا، مما يمثل جزءًا من التراث الثقافي للمجتمع، كما أنه يُسلط الضوء على السياق الاجتماعي لهذه الممارسات، حيث

(14) إبراهيم الكوني، البحث عن المكان الضائع، ص12.

يتم تنظيمها في حفل اكتمال القمر، مما يعكس التفاعل الاجتماعي، والتبادل الثقافي الذي يحدث.

من جهة أخرى يقوم النص بنقل المعرفة حول هذه الممارسات من جيل إلى آخر، حيث يشكل وسيلة لتواريخ هذا التراث الثقافي وتوثيقه. يبرز الدور المهم الذي يلعبه النص في تعزيز الشعور بالهوية الثقافية لدى الأفراد، إذ يعتدّون أنفسهم جزءًا من هذا المجتمع ويشعرون بالفخر بتراثهم.علاوة على ذلك يحث النص على التفاعل المستمر مع التراث غير المادي، حيث يشير إلى أهمية استخدامه كنقطة انطلاق للبحث والتوثيق حول هذه الممارسات وتأثيرها. ويعكس أيضًا كيف يمكن للتراث غير المادي أن يكون مصدرًا للجمال والإلهام والحكمة، مما يعزز فهم الناس لأهمية الحفاظ على هذا التراث.

وفي الختام: يمكن القول بأنه: يُظهر كيف يتداخل الأدب والثقافة في نسيج الحياة اليومية، مما يسهم في تعزيز الوعي بالتراث الثقافي والحفاظ عليه للأجيال القادمة.

وفي قوله: (في رقصة البهجة كأنه يحاكي صبايا الصحراء عندما يركعن حول طبول الأفراح مسدلات الشعور، ثم يبدأ في التمايل وتلويح الخصلات في الهواء، غائبات الأبصار، مسبلات الجفون، كأن الانتشاء، كأن الشهوة إلى الغناء، تدفعهن للارتواء من ينابيع لا وجود لها إلا في وطن اسمه الحنين. [15]يظهر لنا جليا كيف أن النص يلعب دورًا بارزًا في الحفاظ على التراث غير المادي من خلال تفصيل الممارسات الثقافية المحددة، كما يوضح لنا كيفية توثيق تلك الممارسات، خاصة رقصة البهجة في سياق احتفالات الأفراح، كما أنه يعمل أيضًا على نقل المعرفة حول هذه الممارسات بين الأجيال، مما يمكن الأجيال الجديدة من فهم أهميتها في ثقافة المجتمع.

(15) إبراهيم الكوني، الدنيا أيام ثلاثة، ص17.

من خلال التركيز على جوانب الهوية الثقافية، يشير النص إلى أن هذه الممارسات الثقافية تشكل جزءًا أساسيًا من تراث المجتمع، وتعزز شعور الانتماء لدى الأفراد من خلال تشجيع الاهتمام بالبحث والتوثيق، يشكل النص دافعًا لفهم أعمق لهذه الممارسات وتأثيرها على المجتمع.مع التركيز على التوعية، كما أنه يسلط الضوء على أهمية التراث غير المادي كمصدر للجمال والإلهام والحكمة، ويشير إلى أن هذا النوع من التراث ليس فقط محورًا للفهم الثقافي بل يمثل أيضًا مصدرًا حيويًا يستحق الحفاظ عليه.

في الختام: يظهر النص بشكل متكامل كوسيلة فعّالة للإسهام في حفظ التراث غير المادي من خلال توثيق الممارسات، ونقل المعرفة، وتعزيز الهوية الثقافية، وتحفيز الاهتمام بالبحث والتوثيق، وتوجيه الضوء على أهمية هذا التراث في الوعي الثقافي.

كلمة "شفاء" ذات طبيعة جدلية في ثقافة أهل لصحراء الكبرى أيضا إلى جانب مدلولها السحري أو الغيبي. وهو جدل يبدو مسلحا بالمنطق فيما إذا تأملناه كنهاية لوجع. فإذا سألنا عن حال إنسان ألم به مرض في هذا المجتمع التقليدي وقيل لنا إنه شفي فليس لنا أن نقنع بجواب كهذا بل علينا أن نستفهم عن هوية هذا الشفاء: هل هو الشفاء الوقتي، أم الشفاء الأبدي؟! (16)

فكلمة "شفاء" في ثقافة أهل الصحراء الكبرى تشكل مفهومًا غنيًا يتجاوز مجرد التخلص من الأمراض والآلام، حيث تحمل دلالات رمزية وروحية عميقة تتركز حول إيمانهم بالغيبيات والسحر.

(16) إبراهيم الكوني، معزوفة الأوتار المزمومة، ص136.

تثير هذه الكلمة جدلًا في ثقافة أهل الصحراء، حيث يختلفون في رؤيتهم للشفاء، فبينما يعتبر بعضهم أن الشفاء يقتصر على زوال الأعراض، يرى آخرون أنه يمثل عملية تحول شاملة تتضمن الجسد والنفس والروح.

وفي هذا السياق يفرقون بين الشفاء الوقتي الذي يشمل زوال الأعراض مؤقتًا، وبين الشفاء الأبدي الذي يحمل في طياته تحولًا دائمًا في حياة الفرد. ويرى أهل الصحراء أن الشفاء ليس مجرد عودة إلى الحالة الطبيعية، بل هو تحول شخصي يمتد ليشمل جوانب حياتهم الثلاث: الجسد، والنفس، والروح.

وبعضهم يرى أن الشفاء ليس مجرد نقطة نهاية؛ بل رحلة تبدأ بلحظة الإصابة وتنتهي بالتعافي التام، يرون في هذه الرحلة فرصة لاكتشاف ذواتهم وتطويرهم الروحي.

وفي استخدامهم لكلمة "شفاء" كرمز يعبرون عن الأمل والتفاؤل. ويعتدّون الإنسان قويًا قادرًا على التغلب على أي صعوبات، ويشددون على أن الحياة مليئة بالفرص للتغيير والتطور.بهذه الطريقة تكون كلمة "شفاء" عند أهل الصحراء الكبرى ليست مجرد مفهوم بسيط، بل تعكس عمق تفكيرهم، وإيمانهم بقوة التحول والتطوير الروحي في مواجهة الحياة وتحدّياتها.

الضب تمساح شذبت فيه الصحراء الأنياب، وسودت فيه شموسها اللون والضب لا يختلف عن التمساح سوى في لونه الفاحم، أو في استدارة الرأس عكس الاستطالة في رأس التمساح، وأسطورة أهل الصحراء تتحدث عن هويته الأولى فتقول: إنه كان إنسانا كفر بنعمة ربه فاستحم في أكثر السوائل قداسة في عرف الصحراويين وهو

الحليب! وكانت نتيجة هذا المنكر أن يمسخ ضبا موسما بالسواد عقابا له على هذه الخطيئة.[17]

فالضب يشكل رمزًا بارزًا في ثقافة أهل الصحراء، حيث يتجسد كمصدر للصفات والخصائص التي تميز هذا المجتمع الفريد، ويتميز الضب بعدة صفات تبرز أهميته في حياة الناس في هذه المناطق الجافة والصعبة.

فيما يخص الصفات والخصائص، يتمتع الضب بصبر لا مثيل له، حيث يظل قويًا وقائمًا في ظل ظروف الصحراء القاسية دون الحاجة الملحة إلى الطعام أو الماء، كما يظهر تكيفه المذهل مع بيئته، حيث يجد لنفسه مأوى في الجحور تحت الأرض ليحمي نفسه من الحيوانات المفترسة.

وتبرز أيضًا في ذكائه الفطري، حيث يستخدم حيلًا ذكية للدفاع عن نفسه وخداع الحيوانات المفترسة، كما يُظهر الضب قوته البدنية، حيث يستطيع حمل أشياء ثقيلة والدفاع عن نفسه باستخدام عضلاته القوية.

ففي الأساطير والمعتقدات، يعدّ أهل الصحراء الضب ككائن كان إنسانًا في الماضي، ولكنه تحول إلى ضب بسبب كفره بنعمة الله، الأمر الذي يضيف له طابعًا خاصًا من الروحانية والتأمل في ثقافتهم.

وفيما يخص استخداماته، يتم استخدام لحم الضب في الطعام، حيث يشكل جزءًا من قائمة الطعام المحلية، كما يُستخدم جلده في صناعة الأحذية والحقائب، مما يبرز دوره الاقتصادي والعملي في حياة أهل الصحراء.

تجسد الاستعارة في النص بشكل ملحوظ، حيث يُشبه الضب بالتمساح في بداية النص، ثم يُقارن بالإنسان في نهايته، ويظهر ذلك كيف يُعدّ الضب جزءًا لا

(17) إبراهيم الكوني، معزوفة الاوتار المزمومة، ص162.

يتجزأ من حياة هؤلاء الناس، مع تميزه بصفات تجعله رمزًا حياً في ثقافتهم، ويتحقق الهدف من النص من خلال إبراز أهمية وتنوع دور الضب في حياة أهل الصحراء وتكامله مع جوانب حياتهم اليومية والثقافية.أسلافنا الذين علمونا في الصحراء أن الأنعام إخوة لنا هم من سن الناموس القاضي بتحريم صيد أكثر من طريدة واحدة في زمن المجاعات التي عرفتها الصحراء دوما في تاريخها، في حين يعمد المترفون بثروات النفط إلى سحق كل كائن حي في الصحراء سواء أكان طيرا يحلق في الفضاء، أم دابة تسعى في الأرض، أم زاحفة تتخبأ في جحور اليابسة [18]

فصراع القيم في الصحراء يبرز بوضوح من خلال النص، حيث يتناول التضاهر بين قيم الحكمة والتوازن التي كانت تميز ثقافة أهل الصحراء التقليدية، وقيم الطمع والاستغلال التي يمثلها تحول البيئة بوجود "المترفون بثروات النفط". يُظهر النص أن أسلافنا في الصحراء كانوا يمارسون تقاليد مبنية على الحكمة، حيث كانوا يروجون لفهمٍ عميق للتوازن بين احتياجات الإنسان وحقوق البيئة، وفي المقابل يستعرض النص سلوك المترفين بالنفط الذين يسهمون في استنزاف الموارد البيئية دون مراعاة للتوازن البيئي.

أما بالنسبة للغة المستخدمة في النص فقوية وتعبر عن الصراع بشكل حي، مما يسهم في إيصال رسالته، ويتبنى النص أسلوبًا خطابيًا يهدف إلى إقناع القارئ بأهمية إعادة التوازن بين قيم الحكمة والتوازن وقيم الطمع والاستغلال، ويعد النص دعوة واضحة إلى العمل من أجل الحفاظ على البيئة والمحافظة على التوازن الذي يحققه تراث ثقافي ذو قيمة.

(18) إبراهيم الكوني، معزوفة الأوتار المزمومة، ص170.

ومن خلال تحليله يظهر النص كأداة توعية تهدف إلى زيادة الوعي حول خطورة السلوك الاستغلالي، مع التأكيد على أهمية المحافظة على البيئة للأجيال القادمة.. أدبني؟

جثا على ركبتيه بجوار الكنز الدفين. قال بنفس الخشوع:

. أدبني يخفي رفات الأسلاف، ومثوى الترفاس يحجب السر

يحجب المفتاح الوحيد الذي يقود إلى واو. (19)

إن تحليل النص يكشف لنا عن استخدام بارع للرمزية لوصف الكنز الدفين، حيث يبدأ النص بمقارنة الكنز بجثة الأسلاف، مما يضفي عليه طابعًا تاريخيًا ورمزيًا، وفي النهاية: يتحول الوصف إلى تشبيه بالمفتاح، الذي يعتبر مفتاحًا لفهم اللغز المتعلق بـ "واو". ويتم التشخيص للكنز بصفات إنسانية، حيث يُعطى صفات مثل الخشوع والسر، ويُبرز النص أيضًا الغموض المحيط بطبيعة الكنز وموقعه، مما يثير فضول القارئ ويشجعه على استكشاف أكثر.

والهدف الرئيس من النص يتمثل في جذب انتباه القارئ وإثارة فضوله حول طبيعة الكنز، والكشف عن سره، ويُطرح النص أيضًا أسئلة محددة تدفع القارئ للتساؤل؛ والتأمل حول الكنز، وما يمكن أن يمثله "واو".

ومن خلال الأسئلة التي يطرحها النص، يتيح للقارئ فرصة التفكير في التأويلات المختلفة للنص؛ إذ يمكن تفسير الكنز بطرق تاريخية، وروحية أو نفسية، حسب تفسير القارئ للرموز.

(19) إبراهيم الكوني، وطن الرؤى السماوية، ص41.

والنص يتيح حرية للقارئ لتفسير الرموز بما يتناسب مع خلفيته وتجاربه الشخصية، بالتالي يمكن اعتبار النص تحفيزًا للتفكير والتأمل في مختلف جوانب الكنز، سواء من الناحية التاريخية، والروحية، أو النفسية.

وهو اعتراف يستوجب أن يدفع ثمنه بالتضحية بقناعاته الانضباطية الموروثة التي جلبها معه من الصحراء، تلك القناعات المقدسة التي يروق لحكماء البرية أن يطلقوا عليها اسم الناموس) [20]

فالنص يقدم صراعًا داخليًا معقدًا يواجهه الشخص، حيث يتعين عليه اتخاذ قرار صعب بين الالتزام بقناعاته الراسخة أو التضحية بها من أجل تحقيق هدف مهم، كما يظهر أن الشخصية تحمل قناعات انضباطية مقدسة تُعرف بـ "الناموس"، وتعدّ هذه القناعات جزءًا أساسيًا من هويتها، ومع ذلك يتطلب التحول الذي ينشأ عن التضحية بتلك القناعات إلى شجاعة وقدرة على التصدي للصعوبات والتردد.

والنص يشير إلى أهمية القرار الذي يواجهه الفرد، وكيف يمكن أن يؤدي هذا القرار إلى تغييرات في حياته، ويتساءل النص عن القناعات الراسخة التي توجد في نفس الفرد، وكيف يتعامل معها في ظل الظروف الصعبة، فالقصة تثير أيضًا أسئلة حول الصعوبات التي تواجه الشخص في اتخاذ قرار مصيري، وكيف يمكن أن يؤثر هذا القرار على حياته ومستقبله.

في الختام: يظهر النص كمحفز للقارئ للتأمل في تجاربه الشخصية والتفكير في الصراعات الداخلية التي قد يواجهها في مسار حياته، فيُشجع القارئ على استكشاف التأويلات المختلفة للنص، وفهم كيف يمكن للصراع الداخلي أن يكون جزءًا من رحلة النمو والتطور الشخصي.

(20) إبراهيم الكوني، من أنت أيها الملاك، ص184.

أمـــا قـــوله: (تـــذكر التحـــريم. اكتئـاب الكوكب ألهمه بالوصيـة بالمزبورة على جدران الجبل، الوصية لموروثه عن الأسلاف التي حرصت كل أم في الصحراء أن تلقنها للوليد قبل أن يدب على قدميه ويقترف الإثم في حق النهر. قالت العجوز وي ضياء القمر. (اعلم يا ولدي أن الماء مقدس، والوادي الذي تراه هو آخر نهر جار على وجه الصحراء الكبرى كلها. ويل لمن تجرأ واغتسل في مائه) [21]

فالنص يُقدم وصية مقدسة تنتقل بين الأجيال في ثقافة أهل الصحراء، تحذر من المساس بماء النهر، وتؤكد على قدسيته، كما أنه يشير إلى أن احترام الماء يشكل جزءًا من الموروث الثقافي لهؤلاء الأهالي، حيث يُنقل هذا الموروث بين الأجيال من الأم إلى الابن، مؤكدًا على أهمية الماء كمصدر حياة ورزق، فضلا عن كونه يُظهر أهمية القدسية المرتبطة بالماء في ثقافة أهل الصحراء، ويُشدد على ضرورة احترامه وعدم المساس به. وتحذر الوصية من مغبة المساس بماء النهر، مُؤكِّدة على أن العقاب سيكون إلهيًا، مما يُعزز فهم أهل الصحراء للقدسية المرتبطة بالماء وضرورة حمايته.

في الختام: يمكن القول بأن النص يقدم وصية مقدسة تُؤكِّد على أهمية احترام الماء وحمايته في ثقافة أهل الصحراء، ويترك للقارئ حرية تأويل النص وفهمه حسب خلفيته وتجاربه.

(فنلقاه منا وإلينا، أول ما نلقاه. يردد علينا، ويمدد، أصداء شئى من موروثنا في هذا الفن شعبيه وفصيحه. ما تحكي الجدات للأحفاد في السهر، وما يحدث به الرواة حلقات الهواة في رحاب المدينة العتيقة، نهارا، وفي أقبية مقاهيها ساعة السمر، وما تطالعنا به عيون نصوصنا من تصاريف الخيال. فيه من كتاب ألف ليلة وليلة شيقة

(21) إبراهيم الكوني، من أساطير الصحراء، ص264-265.

من المدهشات ومن كتاب كليلة ودمنة تعاليمه الدفينة وراء شخوص البهائم والسباع. فإذا قفار وأهوال، وسير وأبطال، أشخاص من الإنسان وأطياف من الجان، وأشباح وأرواح، وحيوان ذو لسان، بل ونبات مبين وجماد منطيق). [22]

هنا يقدم النص لنا رحلة استكشافية للسرد القصصي في ثقافة أهل الصحراء، حيث يسلط الضوء على أهميته في نقل الموروث الثقافي والتاريخي عبر الأجيال، ويتألق السرد القصصي بمكوناته المتنوعة، حيث يجسد الحكايات الشعبية وحكايات الرواة والأدب المكتوب تفرداً ثقافياً رائعًا.

وتتفرّع الحكايات الشعبية كجزء لا يتجزأ من السرد القصصي، حيث يُروى السحر الفولكلوري من خلال سهر الجدات مع الأحفاد، بينما يستمتع الناس بحكايات الرواة في حلقات الهواة في المدينة العتيقة، وينغمسون في عوالمهم الخيالية خلال ساعات السمر في أقبية المقاهي.

وتظهر الخصائص البارزة للسرد القصصي في هذه الثقافة، حيث يتسم بالتنوع الفائق، ويشمل قصصاً عن القفار والأهوال، والسير والأبطال، ومخلوقات فانتازيا من الجان والأشباح، ويتميز بطابع الخيال الذي يضفي على الحكايات لمسة خاصة مع حكمة مستمدة من تعاليم ودروس أخلاقية.

والسرد القصصي في ثقافة أهل الصحراء ليس مجرد وسيلة ترفيه أو تسلية؛ بل يشكل جسراً حياً لنقل الموروث الثقافي بين الأجيال، كما يسهم في تربية الأطفال وتعليمهم القيم والأخلاق، مما يبرز أهميته الشاملة في حياة هذه الثقافة الغنية.

(22) إبراهيم الكوني، من أساطير الصحراء، ص8.

ثانياً- الأساطير الصحراوية:

تُعدّ أساطير الصحراء بوابتنا لفهم ثقافة سكانها وعادتهم، فهي تعكس نظرتهم للعالم، وتُجسّد تجاربهم مع الطبيعة، وتُعبّر عن آمالهم ومخاوفهم، ويظهر ذلك جلي في روايات إبراهيم الكوني.

الطائر الذهبي هو رسول إبليس لاستدراج الصغار واختلاسهم من أمهاتهم، وتقول العجائز في الصحراء إنه يظهر نادرا، وإذا ظهر فإن ضحايا كثيرة سوف تتساقط لأن ظهوره مرتبط بالجفاف والسنوات العجاف. (23)

فالنص يقدم أسطورة مثيرة تندرج في إطار ثقافة أهل الصحراء، حيث يسرد قصة "الطائر الذهبي" الذي يُرسله إبليس لاستدراج الصغار واختلاسهم من أمهاتهم، ويتسم ذلك الطائر بالندرة، مما يجعله غامضًا وخطيرًا، ويرتبط بالشر ويُرسل في سياق الجفاف والسنوات العجاف، مما يزيد من معاناة الناس.

فالتأويلات الممكنة للنص تشمل التأويل الديني، حيث يُفسر النص كرمز لقصة دينية حول إبليس ووساوسه، كما يُمكن تفسيره نفسيًا بأنه يُظهر الخوف من المجهول، والأخطار المحتملة التي قد يتعرض لها الأطفال على الصعيدين الاجتماعي والثقافي، ويمكن تأويل النص على أنه يُسلط الضوء على مخاطر تربية الأطفال في بيئة صعبة كالصحراء.

بشكل عام: يعدّ النص مصدرًا ثريًا للأساطير الثقافية، ويفتح الباب لتأويلات متعددة تعكس التنوع والغموض الموجود في تلك الثقافة.

(أعدوا العدة وجهزوا الخيمة. صنعوا له عرشا من الرمال كالذي يبنونه للعرسان، غرسوا حول العرش المدي والسكاكين والسيوف كي يرهبوا الجن ويجبروهم

(23) إبراهيم الكوني، القفص، ص52.

على التراجع عن نيتهم في الاختطاف. جاءت النساء في زرافات سوداء وتجمهرن أمام الخيمة يقرعن الطبول ويملأن السهل بالزغاريد. أعتصم الصبيان بزاوية الخباء واقتربت من عرشه عجوز تباوية ترطن بالتعاويذ الوثنية بلغتي التبو والهوسا. ثم طوقت معصمه بسوار من الجلد علقت فيه صرة من الشيح لإرهاب أهل الخفاء[24]

فالنص يقدم صورة وافية لطقوس طرد الجن في ثقافة أهل الصحراء، حيث يتناول تفاصيل الخطوات والرموز المستخدمة في هذه الطقوس، ويتم تجهيز خيمة خاصة للطقوس، ويُغرَس الأسلحة حول عرش العريس، مما يرمز إلى الحماية من الجن.ويُشير النص أيضًا إلى دور المرأة والعجوز في المشاركة في الطقوس من خلال الزغاريد والتعاويذ.

والرموز في النص تعكس عمق الإيمان والتقاليد في تلك الثقافة، حيث يُرمز بالعرش إلى مكانة العريس والزواج، والأسلحة تُظهر القدرة على طرد الجن، والزرافات السوداء والتعاويذ الوثنية تعكس الرغبة في إرهاب الجن وإبعادهم.

والتأويلات المختلفة تفتح أبواب الفهم لطبيعة هذه الطقوس، وقد يُفسر بعضهم ذلك دينيًا كطقوس دينية، في حين يفسرها بعضهم الآخر على أنها طقوس نفسية أو اجتماعية، والنص يتيح للقارئ أن يستكشف التفاوت في التأويلات حسب خلفيته وثقافته الشخصية.

في النهاية: يمكن القول بأن النص يشير إلى العديد من الأسئلة المهمة حول أصل هذه الطقوس ودلالاتها، وكيف يمكن أن تؤثر على الناس على الصعيدين النفسي والاجتماعي في حياتهم اليومية.

الخاتمة:

(24) إبراهيم الكوني، المجوس 1/ 193.

في ختام هذا البحث، نستطيع القول إن دور الأدب الليبي الروائي يظهر بوضوح كوسيلة حيوية وفعّالة في حفظ التراث غير المادي في المناطق الصحراوية. تجسد روايات إبراهيم الكوني مثالًا رائعًا على هذا الدور، حيث ترسخ تفاصيل الحياة اليومية والتقاليد الثقافية في الصحراء الليبية.

تتيح روايات الكوني نقل التراث بين الأجيال بشكل فعّال، حيث تروي القصص الشعبية وتعرض العادات والتقاليد بأسلوب جذاب وممتع. كما تقوم بتوثيق التراث بوصفها للمناطق الصحراوية بدقة، مما يسهم في المحافظة على هويتها الفريدة والغنية. بالإضافة إلى ذلك، تعمل على نشر التراث بشكل واسع من خلال ترجمتها وانتشارها في وسائل الإعلام المتنوعة، مما يساهم في تعزيز الوعي بالتراث الثقافي الليبي.

أهم النتائج:

- أثبتت الدراسة أن الأدب الليبي الروائي، وبشكل خاص روايات إبراهيم الكوني، لعب دورًا مهماً في حفظ التراث غير المادي في المناطق الصحراوية.
- تمكنت الروايات من نقل التراث بين الأجيال، وتوثيقه، ونشره على نطاق واسع.
- أسهم هذا الأسلوب الأدبي في إحياء التراث الثقافي والأدبي وتوثيقه ونشره في تلك المناطق.

التوصيات:

- ضرورة دعم الكتاب الليبيين وتشجيعهم على الكتابة عن التراث الوطني.
- ترجمة الروايات الليبية إلى لغات أخرى لضمان انتشارها على نطاق أوسع.
- إدراج نصوص من الروايات الليبية كمادة تطبيقية في المناهج الدراسية لتوعية الأجيال القادمة بالتراث الوطني.

- تأسيس مراكز متخصصة لحفظ التراث غير المادي في المناطق الصحراوية.

في النهاية، يظهر الأدب الروائي كلاعب حيوي في المحافظة على الهوية والتراث في المناطق الصحراوية، ويشكل جسرًا ثقافيًا بين الأجيال. إن تعزيز هذا الدور ودعم الكتّاب والفنانين المحليين يعد خطوة ضرورية نحو الحفاظ على تنوع وغنى التراث الثقافي غير المادي في ليبيا والمحافظة عليه للأجيال القادمة.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم الكوني، البحث عن المكان الضائع.

2. إبراهيم الكوني، التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، 1994.

3. إبراهيم الكوني، الخسوف ج4، تاسيلي للنشر والإعلام، ط2، 1991م.

4. إبراهيم الكوني، الدنيا أيام ثلاث، دار الملتقى للطباعة والنشر.

5. إبراهيم الكوني، السحرة ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994م.

6. إبـــراهيم الكـــوني، القـفص، تـــاسيلي للـــنشر والاعـــــلام ودار التنويـر للطباعة والنشر، ط3، 1992م.

7. إبراهيم الكوني، المجوس ج1، تاسيلي للنشر والاعلام ودار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1992م.

8. إبراهيم الكوني، أنوبيس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002م

9. إبـــراهيم الكـــــوني، رباعيـة الخسوف ج1، تاسيلي للنشر والاعلام ودار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1991م.

10.إبراهيم الكوني، معزوفة الأوتار المزمومة، دار سؤال للنشر، ط1، 2016م.

11.إبراهيم الكوني، من أساطير الصحراء، دار الجنوب للنشر، ط1، 2006م.

12.إبراهيم الكوني، من أنت أيها الملاك، المؤسسة العربية للدراســـات والنشر، ط1، 2009م.

13.إبراهيم الكوني، وطن الرؤى السماوية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط2.

14.إبراهيم الكوني، الشرخ، ج1، دار النهار للنشر، ط1، 1999م.

15.محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

16.منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والمعرفة، اتفاقية عام 2003 صون التراث الثقافي غير المادي، ط2018.